بسم الله الرحمن الرحيم

ابن صياد

مواقفٌ أرعبت كبار الصحابة

الحمد لله

شهدت المدينة في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهور فتىً غريب الأطوار، منسوب إلى اليهود، حيَّر أمرُه الصحابة، حتى إن بعضهم ظن أنه هو المسيح الدجال، بينما توقف آخرون في أمره ينتظرون ما يقضي الله به، ذلك الفتى هو ابن صياد.

فقد كانت تصدر عنه تصرفات غريبة، وأقوال مريبة، حتى إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه لم يجزم في أول الأمر بحقيقته، وبقي الأمر محلَّ تردد، حتى قيل: إنه كاهن، وقيل: إنه ساحر، وقيل: إنه يتعامل مع الجن والشياطين، وكان يخبر الناس أحيانًا ببعض الأمور فيصيب، ويكذب في أشياء كثيرة، فداخل الناسَ خوفٌ شديد من أمره.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختبر ابن صياد

ولما بلغ خبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خرج بنفسه ليستطلع أمره، وكان اليهود يومئذ أصحاب مزارع ونخيل، فدخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المكان الذي يوجد فيه ابن صياد، حتى وصل إليه، وكان يومئذ قد ناهز الحلم.

فلما رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلعب مع الصبيان، ضرب بيده على ظهره، وقال له: "أتشهد أني رسول الله"، فقال: أشهد أنك رسول الأميين. (أي: رسول العرب) ثم ازداد الأمر غرابة حين التفت ابن صياد إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال في جرأة عجيبة: "أتشهد أني رسول الله"، فرضّه [1] النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الدعوى الباطلة، وقال: "آمنت بالله ورسوله"[2].

---

(١) دفعه حتى وقع ليأسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إسلامه.

(٢) ولم يقل له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنك كذاب؛ حتى لا ينقطع الحوار، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يستخرج منه المزيد.

ثم سأله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ماذا ترى؟" (أي: ماذا يأتيك وما الذي يُلقى إليك) فقال: "أرى عرشًا على الماء". فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ترى عرش إبليس على البحر. وما ترى؟" "يأتيني صادقٌ وكاذبٌ" فقال له النبي: "خُلِّط عليك الأمر" (أي: اختلط عليك الحق بالباطل، فما يأتيك ليس وحيًا من الله، وإنما هو خليط من الصدق والكذب)

فأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يختبره اختبارًا آخر، فقال له: "إني قد خبأت لك خبيئة" وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أضمر في نفسه قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ الدخان: فقال ابن الصياد: "الدخ" فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اخسأ فلن تعدو قدرك"[1] أي: لن تتجاوز المنزلة التي قدَّرها الله لك، ولن تبلغ ما تطمح إليه.

---

(١) أصله في البخاري، وجاء عند أحمد أبي داود بنحوه.

وقد قال أهل العلم: إن الشياطين ربما استرقت شيئًا من الخبر، فلم تنقل إليه إلا جزءًا من الكلمة، أو تعمدت بترها، فلم يستطع أن يقول: الدخان، وإنما قال: الدخ.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يراقب ابن صياد سرًّا

ولم يكتفِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ظهر له من أمر ابن صياد، بل بقي يتابع أخباره، ويراقب أحواله؛ لأن القضية لم تكن قضية رجل يدعي الكهانة فحسب، وإنما كان الشك يدور حول أخطر فتنة ستواجهها البشرية.

وفي يوم من الأيام خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه نفرٌ من أصحابه يريد أن يراقب ابن صياد من غير أن يشعر، وكان ابن صياد يومئذ في بعض نخل اليهود، فأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدنو منه خفية؛ لعله يسمع شيئًا يكشف حقيقته، أو يرى من حاله ما يزيل الإشكال.

وبينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقترب منه، وجده مضطجع على قطيفة وله زمزمة وهمهمة، فأبصرته أمُّ ابن

صياد، فنادته بأعلى صوتها: "يا صاف. يا صاف. هذا محمد"، فلما سمع ابن صياد صوت أمه انتبه، وفزع، وانقطع ما كان فيه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لو تَرَكَتْه بَيَّنَ"[1]. لو تركته أمه لظهر لنا شيء من أمره.

وهذا من الأدلة على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ الأنعام: ٥٠

عمر رضي الله عنه يطلب قتل ابن صياد

ولما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما شاع من أمر ابن صياد، وما ظهر عليه من الأحوال الغريبة، قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يا رسول الله، دعني أضرب عنقه".

فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن يكن هو، فلن تُسلَّط عليه، وإن لم يكن هو، فلا خير لك في قتله". أي: إن كان

---

(١) أصله في البخاري، وجاء عند أحمد أبي داود بنحوه.

هو المسيح الدجال، فلست أنت الذي تقتله؛ فإن الذي يقتله هو عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان.

فتركه عمر رضي الله عنه امتثالًا لأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أن الشك في أمره بقي قويًا في نفسه، فعن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صائد الدجال. فقلت: تحلف بالله؟ فقال: "إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم ينكر عليه "[1].

الرحلة المرعبة مع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

ومضت الأيام، وتوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبقي ابن صياد في المدينة. وكان أمره يزداد غرابة؛ حتى حصلت هذه القصة الغريبة، قال أبو سعيد الخدري:

"خرجنا حجاجًا أو عمارًا، وكان ابن صياد معنا، فلما نزلنا منزلًا تفرق الناس، وبقيت أنا وهو، فاستوحشت منه وحشة شديدة لما كان يقال عنه، ثم جاء بمتاعه

---

(١) رواه أبو داود.

فوضعه مع متاعي، فقلت له: "إن الحر شديد، فلو وضعته تحت تلك الشجرة". ففعل، ثم مرت بنا غنم، فانطلق فجاء بعُسٍّ من لبن [1]، وقال: "اشرب يا أبا سعيد". فقلت: "إن الحر شديد، واللبن حار". ولم يمنعني من الشرب إلا كراهية أن آخذ من يده، فقال: "يا أبا سعيد، لقد هممت أن آخذ حبلًا فأعلقه بشجرة ثم أختنق، مما يقوله الناس عني". ثم قال: "يا أبا سعيد، أليس قد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن الدجال كافر؟ وأنا مسلم؟ وأليس قال إنه عقيم لا يولد له؟ وقد تركت أولادي في المدينة. وأليس قال إنه لا يدخل المدينة ولا مكة؟ وقد خرجت من المدينة وأنا أريد مكة " [2]. قال أبو سعيد: "حتى كدت أن أعذره"، ثم قال ابن صياد: "أما والله، إني لأعرفه، وأعرف

---

(١) وقد جرت العادة أن أصحاب الغنم يؤذنون بحلبها لعابر السبيل.

(٢) قال ابن حجر في الفتح (٣٢٧/١٣): "وأمَّا احتِجاجاتُه هو بأنَّه مُسْلِمٌ إلى سائِرِ ما ذُكِرَ، فلا دَلالةَ فيه على دَعواه؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما أخبَرَ عَن وقتَ خُروجِه آخِرَ الزَّمانِ"

مولده، وأين هو الآن"، فقال له: "أيسرك أنك ذلك الرجل؟ قال: "لو عُرض عليَّ ما كرهت" قال أبو سعيد: "تبًا لك سائر اليوم"[1].

لماذا لم يقتنع أبو سعيد بحججه؟

لقد كانت حجج ابن صياد في ظاهرها قوية؛ لكنَّ المشكلة أن كلامه الأخير هدم ما بناه بكلامه الأول؛ ولهذا بقيت القضية مشكلة عند كثير من الصحابة، ومع ذلك، فإن هذه الرحلة كانت من أعجب ما روي في شأنه، وأشدها تأثيرًا في نفوس الصحابة؛ لأنها جمعت بين حجج توحي بأنه ليس الدجال، وتصريحات أخرى أعادت الخوف والشك إلى القلوب من جديد.

لقاءٌ مرعب في طرقات المدينة

ومن أشد المواقف التي زادت الصحابة حيرة في أمر ابن صياد، ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، إذ قال: لقيت ابن صياد مرتين، أما المرة الأولى، فكان

---

(١) رواه مسلم، وهو من أفراده على البخاري.

مع بعض أصحابه، فسأل ابن عمر أحدهم: "أتقولون إن ابن صياد هو الدجال؟" فقال: لا والله. فقال ابن عمر: "لقد كذبتني، فقد أخبرني بعضكم من قبل أن ابن صياد لن يموت حتى يكون أكثَركم مالًا وولدًا، وقد أصبح كذلك". وكان ابن عمر يرى أن مثل هذا الخبر لا يقال بالرأي، ولذلك ازداد شكه في أمره.

ثم افترقا، وبعد مدة لقيه مرة أخرى، فإذا بإحدى عينيه قد تورمت وبرزت حتى تغير شكلها، فشابهت ما جاء في وصف عين الدجال، فقال له: "متى أصاب عينك ما أرى؟" فقال: لا أدري. فقال ابن عمر مستنكرًا: "لا تدري، وهي في رأسك؟"

فأجابه ابن صياد بجواب غريب فقال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه. ومعنى كلامه أي إن الله قادر على أن يخلق هذه العين أو هذا العيب في عصاك، وهي أقرب شيء إليك، فلا تشعر به، فاشتد غضب ابن عمر؛ لأنه رأى في كلامه مراوغة واستهزاء، فسبه واشتد عليه، عندئذ

غضب ابن صياد غضبًا شديدًا، وأطلق صوتًا كأشد نخير الحمار، ثم انتفخ جسمه حتى ملأ الطريق. يقول ابن عمر: "زعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى انكسرت، أما أنا فوالله ما شعرت بذلك".

وقد حمل بعض أهل العلم ذلك على ظاهره، وعدوه أمرًا خارقًا للعادة، بينما رأى آخرون أنه من آثار السحر أو من تلبيس الشياطين.

ثم دخل عبد الله بن عمر على أخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، وقد بلغها ما جرى بينه وبين ابن صياد، فقالت له: "رحمك الله، ما أردت منه؟" ثم أخبرته بحديث سمعته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: "إنما يخرج من غضبة يغضبها" [1].

فخافت حفصة أن يكون ابن صياد هو الدجال، وأن يكون ما فعله ابن عمر واستفزازه له سببا في إثارة غضبه،

---

(١) رواه مسلم.

فتكون تلك الغضبة هي التي يخرج بعدها بفتنته، ولذلك لامته على ما صنع.

ماذا كانت نهاية ابن صياد؟

اختلفت الروايات في آخر أمره؛ فقد وردت روايات أنه مات في المدينة، وأن الناس كشفوا عن وجهه بعد موته ليتحققوا من أمره [1]، إلا أن أهل العلم ضعفوا كثيرًا من هذه الروايات.

والذي يظهر -والله أعلم- أنه اختفى بعد وقعة الحرة فعن جابر قال: "فقدنا ابن صياد يوم الحرة"[2]، فلم يعرف له خبر بعد ذلك، ولذلك بقيت نهايته مجهولة.

---

(١) قال ابن حجر في الفتح (٣٢٧/١٣): "فرُوِيَ أَنَّه تابَ من ذلك القَولِ ومات بالمَدينةِ، وأَنَّهم لما أرادوا الصَّلاةَ عليه كشَفوا وَجْهَه حَتَّى يَراه النَّاسُ وقيلَ لَهم: اشهَدوا"

(٢) رواه أبو داود، وهي الواقعة التي استبيحت فيها المدينة ثلاثة أيام، وكانت سنة ٦٣ للهجرة.

عبرة ودروس

إن قصة ابن صياد ليست مجرد حادثة تاريخية، بل هي شاهد على دقة منهج الإسلام في التعامل مع الفتن، وأن العبرة ليست بكثرة الظنون، وإنما بالرجوع إلى الوحي وجمع النصوص وفهمها على وجهها الصحيح.

وقد رأينا كيف توقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول الأمر حتى يتبين له الأمر، وكيف اختلف اجتهاد كبار الصحابة رضي الله عنهم في شأن ابن صياد، ثم كيف رجح جمهور أهل العلم بعد جمع الأدلة أنه ليس المسيح الدجال الأكبر، وإنما رجل من الدجاجلة التبس أمره على الناس.

كما تكشف هذه القصة أن ظهور الأمور الخارقة لا يدل وحده على الصلاح أو الولاية، فقد يجري الله بعض الخوارق ابتلاءً وامتحانًا، وقد تكون من تلبيس الشياطين، ولذلك كان الميزان الذي يزن به المسلم الأشخاص والدعاوى هو الكتاب والسنة، لا مجرد الغرائب

والعجائب.

ومن أعظم ما تورثه هذه القصة استحضار خطورة فتنة المسيح الدجال، حتى جعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم فتنة تمر بالبشر، وأكثر من التحذير منها، وأرشد أمته إلى الاستعاذة بالله منها، وإلى التسلح بالعلم والإيمان والثبات.

نسأل الله تعالى أن يعيذنا من فتنة المسيح الدجال، ومن فتنة المحيا والممات، والحمد لله أولًا وأخيرًا.

وكُتب في ١٦/ ٢ / ١٤٤٨ هـ

أ.د عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد